القدر

تأليف

مصطفى بن العدوي

مصدر هذه المادة:



دار بلنسية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد :

فمن فضل الله على أهل الأرض أن أرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب ليعلموا الناس ما جهلوا، وبينوا لهم ما خفي عليهم فيخرجونهم – بإذن الله – من الظلمات إلى النور، ومن الضلالة إلى الهدى، ومن العمى إلى البصيرة، ومن النار إلى الجنان.

وكان مما أمرت به الرسل أقوامها: الإيمان بالله وحده، ومن أركان هذا الإيمان: الإيمان بالقدر، ذلكم الركن الذي لا يتم للشخص إيمان إلا به، فإذا آمن به الشخص اطمأن قلبه وهدأ باله واستراح ضميره وسكن غضبه وحسنت سريرته، وكان بالإيمان به – وبسائر أركان الإيمان – من أهل الجنان والنعيم المقيم.

هذا وقد جادلت فرق في القدر، وتخاصم فيه أقوام، وحادت عن طريق الجادة فيه أمم، وكان من أسباب ذلك: جُحودهم وبُعدهم عن هدي الله وهدي رسوله ﷺ ونهج أصحابه رضوان الله عليهم في هذا الباب.

فقد كان النبي ﷺ وأصحابه يعتقدون أن الأمور كلها تجري بمقادير، وأن كل شيء خلقه الله عز وجل بقدر، وكل شيء يُحدق في هذا الكون، إنما يحدث بإذن الله وبأمره ومشيئته، ومع ذلك يعملون بما أمرهم الله به؛ فكانوا مؤمنين عالمين عاملين ﴿آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، فاستقامت لهم الأمور، وصلحت لهم الأحوال، فكانوا خير أمة أخرجت للناس، ثم خلف من بعدهم خلف فرقوا دينهم وكانوا شيعًا، حولوا دينهم إلى مجادلات ومخاصمات ومشاحنات وفلسفات؛ تبعها إنكار الثابت في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ، فأنكروا فيما أنكروا أن الأمور مقدرة، وأنكروا أن الله خلق كل شيء بقدر، فتصدى لهم علماء من أهل السنة والجماعة، فوفق الله كثيرًا من هؤلاء العلماء للحق، وإحياء السنة وقمع البدعة.

ولكن من علماء السنة من دخل مع هؤلاء المبتدعة من نُفاة القدر في مجادلات كان من اللائق الابتعاد عنها، والبحث عن هدي رسول الله ﷺ في طريقة مناقشته لأمثال هؤلاء، فلرسول الله ﷺ هدي مأثور في مناقشة السائلين عن المسائل المتعلقة بالقدر، فالأولى لزوم هديه، وإلّا تورط الشخص في مجادلات لا طائل تحتها.

هذا وبين أيدينا كتيب لطيف الحجم كبير النفع بإذن الله، لما حواه من كتاب الله، والصحيح من سنة رسول الله ﷺ، يعالج هذا الركن من أركان الإيمان؛ ألا وهو الإيمان بالقدر وما يتعلق به، ولعلنا

إن شاء الله نتناول فيما بعد سائر أركان الإيمان بأسلوب علمي رصين متين، والله وحده المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أسأل الله العظيم أن يشفي بهذا الكتيب صدور قوم مؤمنين، ويهدي به قلوبهم.

وصل اللهم على يدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

أبو عبد الله مصطفى بن العدوي

شلباية

مصر – الدقهلية – منية سمنود

وجوب الإيمان بالقدر
وبيان أنه أحد أركان الإيمان

* الإيمان بالقدر واجب على كل مسلم، فلا يتم للشخص إيمان إلا إذا آمن بالقدر خيره وشره، واعتقد أن ما أخطاه لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه، وأيقن أن كل شيء مقدر مكتوب، والأدلة على ذلك كثيرة جدًا من كتاب الله، ومن سنة رسول الله ﷺ.

* قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

* وقال رسول الله ﷺ لما سأله جبريل عن الإيمان: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[١].

---

(1) أخرجه مسلم (حديث رقم ٨)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعًا، وذلك من طريق يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة: معبد الجهني فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر. فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي. أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله. فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي، فقلت: أبا عبد الرحمن! إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتقفرون العلم [١]، وذكر من شأنهم: وأنهم يزعمون أن لا قدر. وأن الأمر أنف [٢]. قال: ا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريئ منهم، وأنهم برآء مني. والذي يحلف به عبد الله بن عمر! لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر. ثم قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب، قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب. شديد سواد الشعر. لا يري عليه أثر السفر. ولا يعرفه منا أحد. حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه. ووضعه كفيه على فخذيه[٣]. وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ﷺ**. =

وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا يؤمن المرء حتى يؤمن بالقدر خيره وشره**»[١].

= ـــــــــــــــــــ

وتقيم الصلاة. وتؤتي الزكاة. وتصوم رمضان. وتحج البيت، إن استطعت إليه سبيلاً»، قال: صدقت. قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه، ورسله، واليوم الآخر. وتؤمن القدر خيره وشره**»، قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: «**أن تعبد الله كأمك تراه. فإن لم تكن تراه، فإنه يراك**». قال: فأخبرني عن الساعة. قال: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**». قال: فأخبرني عن أمارتها. قال: «**أن تلد الأمة ربتها. وأن ترى الحفاة العراة، العالة، رعاء الشاء، يتطاولون في البنيان**». قال: ثم انطلق. فلبثت مليًّا (٤). ثم قال لي: «**يا عمر! أتدري من السائل؟**». **قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنه جبريل. أتاكم يعلمكم دينكم».**

هوامش:

(١) يتقفرون العلم معناه: يطلبونه ويتتبعونه، وقيل معناه: يجمعونه.

(٢) أي: مستأنف، لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى، وإنما يعلمه بعد وقوعه، كذا زعموا.

(٣) أي: وضع كفيه على فخذي نفسه.

(٤) أي: وقتًا طويلاً.

(1) أخرجه أحمد (٢/١٨١، ٢١٢)، من طريق أبي حازم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يؤمن المرء حتى يؤمن بالقدر خيره وشره**».

ذا إسناد حسن، وفي رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده كلام لا ينزل بها عندي عن الحسن، وذلك إذا لم يأت فيها ما يستنكر أو يخالف من هو أثبت.

وأما قول من قال من أهل العلم المتأخرين: إن شعيبًا لم يوثقه معتبر، ومن ثم توقف في السلسلة (سلسة **عمرو بن** شعيب عن أبيه عن جده)، من أجل هذا، فقول لا أراه يحظى بالقبول؛ وذلك لأن تصحيح من صحح من العلماء رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده يدخل فيها القبول الضمني لشعيب.

قال البخاري: رأيت أحمد بن حنبل وعلي بن المديني وإسحاق بن راهويه وأبا عبيد وعامة أصحابنا يحتجون بحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، ما تركه أحد من المسلمين.

=

وأخرج أبو داود [1] من طريق ابن الديلمي قال: أتيت أبي بن كعب فقلت له: وقع في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله أن يذهبه من قلبي، قال: لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه عذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهبًا في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، و [أن] ما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لدخلت النار، قال: ثم أتيت عبد الله بن مسعود، فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت حذيفة بن اليمان، فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك.

وقد جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر، فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [2] [القمر: ٤٨، ٤٩].

=

قلت: وعلى هذا الإطلاق تحفظ، وثم أقوال أخر فيه.

والحديث له شواهد يرتقي بها إلى الصحة، والله أعلم. هذا، وعند أحمد (١٨١/٢) زيادة، قال أبو حازم. لعن الله دينًا أنا أكبر منه، يعني: التكذيب بالقدر.

(1) أخرجه أبو داود (حديث ٤٦٩٩) بإسناد حسن، فيه أبو سنان تكلم فيه بعض الكلام، لكن لا ينزل به عن الحسن، اللهم إلا إذا أتى بما يستنكر من الأخبار. والله أعلم.

(2) أخرجه مسلم (٢٦٥٦)، من حديث أبي هريرة ﷺ، وفي هذا الحديث ما يفيد في مناقشة المخاصمين في شأن فلا يتطرق الشخص معهم في جدال لا طائل تحته، وذلك لأن رسول الله ﷺ لم يدخل معهم في نزاع وجدال، وإنما قرر الحق وأعرض عن جدالهم، فقد نزل عليه قول الله تعالى عند مخاصمة المشركين له في شأن القدر: ﴿ذُوقُوا

=

* فكل شيء يحدث في هذه الحياة وما بعدها مقدر مكتوب:

* قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، فبين الله سبحانه وتعالى أن القتل مكتوب.

* وقال الله تعالى: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٨].

* وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ [الحشر: ٣]، فبين الله سبحانه وتعالى أن الجلاء كتب على اليهود.

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]، فبين الله سبحانه أن أقوامًا سبقت لهم من الله الحسنى.

* وقال النبي ﷺ: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق**

= مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٨، ٤٩]، وهذا المعنى كما يقول القائل لآخر: اضرب رأسك في الحائط فكل شيء سيحدث.

وهذه الطريقة في نقاش المعرضين على مسائل القدر قد سلكها رسول الله ﷺ في مواطن أُخر كما سيأتي، لما سأله الناس: ففيما العمل إذن؟! (أي: وما دامت الأمور مقدرة)، فقال: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**»، ولم يطل معهم الجدال.

وعلى ذلك: فليس كل سؤال يطرحه مخاصم يجاب عنه، وليس كل من حاول استدراجنا في فلسفاته يجاب إلى استدراجه لنا.

وقد قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، والله تعالى أعلم.

السموات والأرض بخمسين ألف سنة»[1].

* وقال عليه الصلاة والسلام: «**كل شيء بقدر حتى العجز والكيس**»[2].

* وقال عليه الصلاة والسلام: «**كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنا، مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخُطا، والقلب يهوى، ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه**»[3].

---

(1) أخرجه مسلم (حديث ٢٦٥٣)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعًا.

(2) أخرجه مسلم (حديث ٢٦٥٥)، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا.

قال النووي رحمه الله نقلاً عن عياض: ويحتمل أن العجز هنا على ظاهره وهو عدم القدرة، وقيل: هو ترك ما يجب فعله والتسويف به وتأخيره عن وقته. قال: ويحتمل العجز عن الطاعات، ويحتمل العموم في أمور الدنيا والآخرة، والكيس ضد العجز، وهو النشاط والحذق بالأمور، ومعناه: أن العاجز قد قدر عجزه، والكيس قد قدر كيسه، والله أعلم.

(3) الحديث بهذا اللفظ عند مسلم (ص٢٠٤٧)، من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا، وله لفظ آخر من حديث أبي هريرة أيضًا مرفوعًا أخرجه البخاري (٦٦١٢)، ومسلم (حديث ٢٦٥٧)، وفيه: «**إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق، والنفس تمنَّى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه**».

* وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما [1]: «يا غلام! إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف».

* وقال النبي ﷺ: «... فوالله إن أحدكم – أو الرجل – ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير باع – أو ذراع – فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع – أو ذراعين – فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها»[2].

* وفي «الصحيحين»[3] من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد. فأتانا رسول الله ﷺ. فقعد وقعدنا

---

(1) أخرجه الترمذي (حديث ٢٥١٦)، بإسناد يصح لشواهده، وقد ذكر شواهده ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» وقال الترمذي عقب إخراجه: هذا حديث حسن صحيح.

(2) أخرجه البخاري (حديث ٦٥٩٤)، ومسلم (حديث ٢٦٤٣)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ، وهو الصادق المصدوق قال: «إن أحدكم يجمع في بطن أمه (وفي رواية: يجمع خلقه) أربعين يومًا، ثم علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكًا فيؤمر بأربع: برزقه وأجله وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فوالله إن أحدكم...» الحديث، واللفظ للبخاري.

(3) أخرجه البخاري (حديث ٤٩٤٨)، ومسلم (حديث ٢٦٤٧)، واللفظ لمسلم.

حوله. ومعه مخصرة. فنكس فجعل ينكت بمخصرته. ثم قال: «ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة، إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار. وإلّا وقد كتبت شقية أو سعيدة»، قال: فقال رجل: يا رسول الله! أفلا نمكث على كتابنا، وندع العمل، فقال: «من كان من أهل السعادة، فسيصير إلى عمل أهل السعادة. ومن كان من أهل الشقاوة، فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة»، فقال: «اعملوا فكل ميسر. أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة. وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة». ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ٥-١٠].

وأخرج مسلم [1] من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف. وفي كل خير. احرص على ما ينفعك. واستعن بالله. ولا تعجز. وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا. ولكن قل: قدر الله. وما شاء فعل. فإن لو تفتح عمل الشيطان».

وأخرج مسلم [2] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: جاء سراقة بن مالك بن جعشم قال: يا رسول الله! بيّن لنا ديننا كأنا خلقنا الآن. فيما العمل اليوم؟ أفيما جفت به الأقلام، وجرت

---

(1) أخرجه مسلم (حديث ٢٦٦٤).
(2) أخرجه مسلم (حديث ٢٦٤٨).

به المقادير، أم فيما نستقبل؟ قال: «**لا، بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير**»، قال: ففيم العمل؟

قال زهير [1]: ثم تكلم أبو الزبير بشيء لم أفهمه فسألت: ما قال؟ فقال: «**اعملوا فكل ميسر**».

* * *

(1) زهير: هو أبو خيثمة أحد رواة الحديث عن أبي الزبير عن جابر.

الإيمان والهداية من الله عز وجل

والله سبحانه يضل من يشاء ويغوي من أراد

* قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

* وقال سبحانه: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ٧].

* وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١١١].

* وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٠٠].

* وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥].

* وقال عز وجل: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

* وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

* وقال سبحانه: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ

﴿أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩].

* ويقول أهل الإيمان يوم القيامة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

* وقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النور: ٤٦].

* وقال الله عز وجل: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [النور: ٣٥].

* وقال عز وجل: ﴿أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١].

* وفي الحديث القدسي: «**كلكم ضال إلا من هديته**»(١).

* ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «**والله لولا الله ما اهتدينا، ولا تصدقنا ولا صلينا**»(٢).

* وكذلك الإضلال:

* قال الله تعالى: ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٤].

---

(1) أخرجه مسلم (حديث ٢٥٧٧)، من حديث أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «**يا عبادي! إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا، يا عبادي! كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم...**» الحديث.

(2) أخرجه البخاري (٤١٠٤)، ومسلم (حديث ١٨٠٣)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما مرفوعًا.

* وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

* وقال نوح لقومه: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: ٣٤].

* وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [الشورى: ٤٤].

* وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٣٦].

* وقال سبحانه: ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٨٨].

* وقال موسى عليه السلام: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

* وقال عز وجل: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث في هذا الباب، فإذا علم الشخص هذا اطمأن قلبه وطلب من الله الإيمان والهداية، وأدى ما أوجبه الله عليه تجاه الناس، ودعا لهم بالتوفيق والهداية، وأخذ بيد ضالهم وعلم جاهلهم وخفض جناحه لأهل الإيمان، ولكن مع ذلك

لا تذهب نفسه حسرات على من انتكس منهم، ولا تتقطع نفسه على من أصرّ على الكفر والعناد، فأمر الهداية مرده إلى الله سبحانه وتعالى، كما قدمنا.

وها هو رسول ا□ ﷺ يبذل قصارى جهده مع عمه أبي طالب ويقول له: «يا عم! قل: لا إله إلا الله كلمة أحاجّ لك بها عند الله سبحانه وتعالى»، ويكررها عليه رسول ا□ ﷺ [1] ويأبى عمه إلا الكفر، عياذًا با□.

ورسول ا□ ﷺ عاقل حكيم رشيد سديد في قوله وفعله؛ لكن مع ذلك أمر الهداية ليس له، إنما هو إلى الله سبحانه وتعالى.

* وها هو نوح عليه الصلاة والسلام ينادي ولده: ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ [هود: ٤٢]، فلا يُجدي نداء نوح مع هذا الولد الشقي، فيقول ولده: ﴿سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ [هود: ٤٣]، ويحول الموج بينهما فيكون هذا الولد الشقي من ا□غرق□، و□ن ماتوا على الكفر، عياذًا با□.

(1) أخرج البخاري (٤٧٧٢)، ومسلم (حديث ٢٤)، من حديث سعيد ابن ا□سيب عن أبيه قال: ما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ، فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فقال: «أي عم! قل: لا إله غلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله». فقال أبو جهل وعبد ا□ بن أمية: أترغب عن ملة عبد ا□طلب؟ فلم يزل رسول ا□ ﷺ يعرضها عليه، ويعيذانه بتلك المقالة، حتى قال أبو طال آخر ما كلمهم: على ملة عبد المطلب، وأبي أن يقول: لا إله إلا ا□. قال: قال رسول ا□ ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك»، فأنزل ا□: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣]، وأنزل الله في أبي طالب، فقال لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦].

وتأخذ نوح الشفقة على ولده فينادي: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥]، فيقول الله له: ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦].

* وكذلك لم يستطع نوح عليه السلام لزوجته هدايةً وتوفيقًا، قال الله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠].

* وها هو لوط ﷺ لم يستطع لزوجته هدايةً ولا توفيقًا، بل قدر الله عز وجل عليها أنها من الغابرين.

* وهذا هو إبراهيم الخليل ﷺ يبذل ما في وسعه مع أبيه ويدعوه ويناديه: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٢-٤٥]، فلا تجدي مع هذا الغوي نصائح ولده الرشيد، فيقول لولده: ﴿أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٦].

* والله هو الذي يشرح الصدور للإسلام:

* قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى

﴿نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٢٢].

* وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

* هو سبحانه الذي يثبت على الإيمان:

* قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤].

* وقال النبي عليه الصلاة والسلام: «يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك»[1].

* ويقول أهل الإيمان: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾[آل عمران: ٨].

* وهذا هو الخليل إبراهيم ﷺ رغم توحيده وإمامته في التوحيد يقول: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ [الأنعام: ٨٠].

* وها هو شعيب عليه الصلاة والسلام يقول: ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ [الأعراف: ٨٩].

* وهو وحده الذي يوفق للخير:

(1) أخرجه أحمد في «المسند» (١٨٢/٤)، من حديث النواس بن سمعان الكلابي رضي الله عنه مرفوعًا.

* قال شعيب عليه السلام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [هود: ٨٨].

* والشقاوة والسعادة مكتوبتان:

* قال أهل الكفر: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦].

* وقال الله سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ٥-١٠].

* والملك يكتب على العبد وهو في بطن أمه شقي أو سعيد، كما صح عن رسول الله ﷺ [(١)].

* والله هو الذي يهدي لأحسن الأخلاق:

* قال النبي ﷺ [(٢)]: «واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت».

* وهو سبحانه الذي يصرف السوء:

* قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

* وقال يوسف ﷺ: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ

(1) تقدم ذالك في حديث عبد الله بن مسعود الذي أشرنا إليه قريبًا.
(2) أخرجه مسلم (حديث رقم ٧٧١) من حديث علي رضي الله عنه مرفوعًا.

وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

* وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

* وقال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٤].

* وهو الذي يكف يد قوم عن قوم آخرين ويسلط أقوامًا:

* قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤].

* وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾ [النساء: ٩٠].

وقد حث الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين على تذكر نعمة أنعم بها عليهم ونسيها الكثيرون فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ [المائدة: ١١].

* وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤].

* وهذا هو جبار من الجبابرة لم يستطع أن يتسلط على امرأة من النساء وهي سارة عليها السلام.

* أخرج مسلم (١) من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم النبي ﷺ قط إلا ثلاث كذبات. ثنتين في ذات الله. قوله: إني سقيم. وقوله: بل فعله كبيرهم هذا. وواحدة في شأن سارة. فإنه قدم أرض جبّار ومعه سارة. وكانت أحسن الناس. فقال لها: إن هذا الجبّار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك. فإن سألك فأخبريه أنك أختي. فإنك أختي في الإسلام. فإني لا أعلم في الأرض مسلمًا غير وغيرك. فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار. أتاه فقال له: لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك. فأرسل إليها فأتي بها. فقام إبراهيم ﷺ إلى الصلاة. فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها. فقبضت يده قبضة شديدة. فقال لها: ادعي الله أن يطلق يدي ولا أضرك. ففعلت فعاد فقبضت أشد من القبضة الأولى. فقال لها مثل ذلك. ففعلت فعاد. فقبضت أشد من القبضتين الأوليين. فقال: ادعي الله أن يطلق يدي. فلك الله أن لا أضرك. ففعلت. وأطلقت يده. ودعا الذي جاء بها فقال له: إنك إنما أتيتني بشيطان. ولم تأتني بإنسان. فأخرجها من أرضي، وأعطها هاجر.

قال: فأقبلت تمشي. فلما رآها إبراهيم ﷺ انصرف. فقال لها: مهيم (٢)؟ قالت: خيرًا. كف الله يد الفاجر. وأخدم

(1) أخرجه مسلم (٢٣٧١)، وقد أخرجه البخاري حديث رقم (٥٠٨٤) لكن لم يسق لفظه. وأخرجه البخاري موقوفًا أيضًا (حديث (٣٣٥٨).

(2) مهيم أي: ما شأنك؟ وما خبرك؟

خادمًا»[١].

قال أبو هريرة: فتلك أمكم يا بني ماء السماء [٢].

* وها هو الدجال لا يستطيع أن يقتل هذا الرجل الذي يبرز إليه من المدينة، فقد أخرج البخاري ومسلم [٣] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ يومًا حديثًا طويلًا عن الدجال. فكان فيما حدثنا قال: «يأتي وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة، فينتهي إلى بعض السباخ التي تلي المدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس، أو من خير الناس، فيقول له: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ حديثه. فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكون في الأمر؟ فيقولون: لا. قال: فيقتله ثم يحييه. فيقول حين يحييه: والله! ما كنت فيك قط أشد بصيرةً مني الآن. قال: فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه».

* وها هو الأعرابي بيده السيف لا يستطيع أن يصيب رسول الله ﷺ بأذى ولا مكروه، فقد أخرج البخاري ومسلم [٤] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة قبل نجد. فأدركنا رسول الله ﷺ في واد كثير العضاه. فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها قال: وتفرق الناس في

---

(1) أي: وهبني خادمًا وهي هاجر.

(2) المراد ببني ماء السماء أي: العرب.

(3) أخرجه البخاري (حديث رقم ٧١٣٢)، ومسلم (٢٩٣٨)، واللفظ لمسلم.

(4) أخرجه البخاري (حديث ٢٩١٠)، ومسلم (حديث ٨٤٣).

الوادي يستظلون بالشجر قال: فقال رسول الله ﷺ: «إن رجلاً أتاني وأنا نائم. فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي فلم أشعر إلا والسيف صلتا في يده فقال لي: من يمنعك مني؟» قال «قلت: الله. ثم قال في الثانية: من يمنعك مني؟» قال «قلت: الله». قال: «فشام السيف فها هو ذا جالس» ثم لم يعرض له رسول الله ﷺ.

وهذا غلام صغير لم يستطع الملك أن يصيبه بأذى ولا مكروه، فقد أخرج مسلم رحمه الله [1] من حديث صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت، فابعث إلي غلامًا أعلمه السحر، فبعث إليه غلامًا يعلمه، فكان في طريقه إذا سلك راهب، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مرّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي. وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس. فقال: اليوم أعلم آلساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجرًا فقال: اللهم! إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب: أي بني! أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما

(1) أخرجه مسلم (حديث ٣٠٠٥).

أرى. وإنك ستبتلي فإن ابتليت فلا تدل علي، وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة فقال: ما ههنا لك أجمع، إن أنت شفيتني فقال: إني لا أشفي أحدًا. إنما يشفي ا□. فإن أنت آمنت بالله دعوت لك فشفاك، فآمن بالله فشفاه ا□، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: ولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فجئ بالغلام فقال له الملك: أي بني! قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل، فقال: إني لا أشفي أحدًا، إنما يشفى ا□. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب. فجئ بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى فدعا بالمئشار. فوضع المئشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه، ثم جئ بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فوضع المئشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جئ بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه و إلا فاطرحوه. فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم! اكفينهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم ا□، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه و إلا فاقذفوه، فذهبوا به

فقال: اللهم! اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهمًا من كنانتي. ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل: بسم الله رب الغلام ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهمًا من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: باسم الله رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده في صدغه في موضع السهم، فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، فأتي الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس، فأمر بالأخدود في أفواه السكك فخدت وأضرم النيران. وقال: من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها أو قيل: اقتحم، ففعلوه حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام: يا أمه اصبري فإنك على الحق».

* والنار جعلها الله عز وجل بردًا وسلامًا على إبراهيم عليه السلام.

* وها هم قوم صالح: ﴿قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون * ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون * فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين * فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون * وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾

[النمل: ٤٩-٥٣].

* وكذا سائر الأنبياء عليهم السلام أنجاهم الله من أعدائهم، فأنجى الله نبينا محمدًا ﷺ مما كاده به أعداؤه عند هجرته وفي غيرها من المواطن، وعيسى رفعه الله إليه وأنجاه من الصلب، وموسى أنجاه الله من فرعون، ولوطًا نجاه الله، وهودًا كذلك، وكذلك سائر أنبياء ا عليهم الصلاة والسلام، لم يصبهم إلا ما كتب الله لهم ولم يضرهم كيد عدوهم حيث أتى.

وها هي دول الكفر أقوى عدة وعتادًا من دول الإسلام فما الذي يمنعها من أن تحتل بلاد المسلمين؟! دولة كأمريكا من الذي نعها عن احتلال بلاد اسلم؟! إنه الله سبحانه وتعالى نعم المولى ونعم النصير.

* والحفظ من الله سبحانه وتعالى:

* قال ا عز وجل: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

* وقال النبي ﷺ: «... والمعصوم من عصم ا»[1].

* وقال عليه الصلاة والسلام: «احفظ ا يحفظك»[2].

* وقال عليه السلام: «... وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به

(1) أخرجه البخاري (حديث ٦٦١١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «ما استخلف خليفة إلا له بطانتان: بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، والمعصوم من عصم ا».

(2) صحيح لشواهد، وقد تقدم.

عبادك الصالحين».

* وها هو نبي الله موسى عليه السلام يتربى في قصر فرعون، ترى من حفظه حتى بعض حتى بعثه الله نبيًّا رسولاً؟!! إنه سبحانه وتعالى.

* وهذا هو يوسف يتربى في بيت العزيز، ويخرج يمكث مع أهل السجون وغالبهم أهل فساد وإجرام، ترى من حفظ يوسف عليه السلام ومنع أنفس الشريرين من الاتجاه إليه بسوء مع حسنه وجماله وبهائه عليه الصلاة والسلام؟؟!! إنه الله سبحانه وتعالى.

* وهذا نبينا محمد ﷺ يتربى يتيمًا، مات أبوه قبل ميلاده، ثم ماتت أمه وهو طفل صغير يرضع، فمن الذي حفظه؟!! إنه سبحانه وتعالى!!

* وها هي امرأة فرعون تعيش في قصر فرعون بيت الظلم والفساد والإجرام، ترى من ثبتها وحفظها؟!! إنه الله سبحانه وتعالى.

فالله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين.

* والإنجاب والعقم من الله سبحانه وتعالى:

* قال الله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠].

فليس الإنجاب باجتهاد شخص، ولا مهارته، ولا ذكائه، ولا قوته، ولا فحولته، فكم من قوي لم يرزقه ذرية! وكم من ذكي

حرمها كذلك.

* وها هن أزواج نبينا محمد ﷺ، ورضي الله عنهن لم يرزقهن الله الولد من رسول ﷲ ﷺ، إلا خديجة ومارية.

* وها هو سليمان عليه السلام كان له ستون امرأة (وفي رواية سبعين، وفي رواية تسعين امرأة)، فيقول: «... لأطوفن الليلة على نسائي، فلتحملن كل امرأة ولتلدن فارسًا يقاتل في سبيل الله، فطاف على نسائه، فما ولدت منهم إلا امرأة ولدت شق غلام»، (وفي رواية: نصف إنسان)[1].

* ورب العزة سبحانه يرزق زكريا الولد رغم كبره، وبعد أن وهن العظم منه واشتعل رأسه شيبًا، وكانت امرأته عاقرًا [2]!!!

* وإبراهيم الخليل يرزقه الله الولد في شيخوخته، وكانت امرأته

(1) أخرجه البخاري (حديث ٧٤٦٩)، ومسلم (حديث ١٦٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان لسليمان ستون امرأة، فقال: لأطوفن عليهن الليلة، فتحمل كل واحدة منهن، فتلد كل واحدة منهن غلامًا فارسًا يقاتل في سبيل ﷲ، فلم تحمل منهن إلا واحدة، فولدت نصف إنسان...».

(2) قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ [الأنبياء: ٨٩، ٩٠].

* وقال تعالى: ﴿كهيعص * ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا * يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا * قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا * قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مر: ١-٩].

عاقرًا كذلك[1]!!!

* ومن يرزقه الله الولد بدون نكاح ولا سفاح.

* والله هو الذي يُعزُّ ويُذل، ويهب المُلك من يشاء، وينزعه ممن يشاء، والترقية التي يترقاها الموظف في عمله مقدرة، وهي من عند الله:

* قال الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

* وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨].

* وقال عليه الصلاة والسلام: «إنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت»[2].

* وقال تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾ [يوسف: ٧٦].

* والله الذي يعطي ويمنع:

قال رسول الله ﷺ: «اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما

(1) فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ إلى قوله: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ [هود: ٦٩-٧٣].

(2) أخرجه أحمد (١٩٩/١)، والبيهقي (٢٠٩/٢ و ٤٩٧ و ٤٩٨)، والحاكم (١٧٢/٣)، وأبو داود (١٤٢٥)، وابن ماجه (١١٧٨)، والطبراني (٧٥/٣)، وغيرهم من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما مرفوعًا.

منعت»[١].

* والذكاء والفهم وتعلم الصنائع والمهن من الله:

* قال الله سبحانه: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

* وقال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥].

* وقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣].

* وقال الخضر لموسى: (يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه)[٢].

* وقال النبي ﷺ في دعائه لابن عباس: «اللهم علمه الكتاب»[٣]، وفي رواية: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»[٤]، وفي رواية: «اللهم علمه الحكمة»[٥].

* وقال تعالى في شأن داود عليه السلام: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ

---

(1) أخرجه مسلم (مع النووي ١٩٤/٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا.
وكذلك البخاري (٣٢٥/٢ مع الفتح)، ومسلم (مع النووي ٩٠/٥)، من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه مرفوعًا.

(2) أخرجه البخاري (٣٤٠١)، ومسلم (حديث ٢٣٨٠)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا.

(3) أخرجه البخاري (٧٥، ٧٢٧٠).

(4) أخرجه أحمد (٣٢٨/١)، بإسناد حسن من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا.

(5) أخرجه البخاري (٣٧٥٦).

لَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

* وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥١].

* وقال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩].

وقال النبي ﷺ: «إن ا خلق كل صانع وصنعته»[1].

فإذا فهم الأذكياء والمهرة في أعمالهم ذلك تواضعوا لله سبحانه، وشكروا نعمه، وخفضوا الجناح لخلقه.

* والبأساء والضراء والشدة والرخاء كل ذلك من عند الله:

* قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧].

* وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧].

* وقال عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ * ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا...﴾ [الأعراف: ٩٤، ٩٥].

(1) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٥٨/١)، من طريقين عن أبي مالك الأشجعي عن ربعي بن حراش عن حذيفة ﵁ عن النبي ﷺ.

* ولا يسقط نجم على نجم إلا بإذنه:

قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ [النحل: ١٢].

* وقال سبحانه: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [الحج: ٦٥].

* وقال تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].

* والآجال والأعمار مقدرة مكتوبة عنده:

* قال تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ * مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ [الحجر: ٤، ٥].

* وقال تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨].

* وقال سبحانه: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

* وقال عز وجل: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١].

والملك يكتب عمر العبد وهو في بطن أمه[1].

* وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥].

---

(1) كما تقدم في حديث ابن مسعود ﷺ.

* وارتفاع الأسعار وانخفاضها مقدر:

* فأخرج أبو داود بإسناد حسن[١] عن أبي هريرة ﷺ أن رجلاً جاء فقال: يا رسول ا! سعر، فقال: «بل ادعوا»، ثم جاء رجل فقال: يا رسول ا! سعِّر، فقال: «بل ا يخفض ويرفع، وإني لأرجو أن ألقى ا وليس لأحد عندي مظلمة».

* وأخرج أبو داود بإسناد صحيح[٢] من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال الناس: يا رسول ا! غلا السعر فسعر لنا، فقال رسول ا ﷺ: «إن ا هو المسعر القابض الباسط الرازق، وإني لأرجو أن ألقى ا وليس أحد منكم يطالبني بمظلمة في دم ولا مال».

* والشافي هو الله:

* قال الخليل إبراهيم ﷺ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

* وقال النبي ﷺ: «اشف وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك»[٣].

* وقال النبي ﷺ: «لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء؛

(1) أخرجه أبو داود (حديث ٣٤٥٠).
(2) أخرجه أبو داود (حديث ٣٤٥١).
(3) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٠/١٣١)، ومسلم (مع النووي ١٤/١٨٠)، وأحمد (٦/٤٥، ١٠٩، ٠٠٠) من حديث عائشة رضي ا عنها أن رسول ا ﷺ إذا أتى مريضًا أو أتي به إليه قال عليه الصلاة والسلام: «أذهب البأس رب الناس، اشف وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك: شفاء لا يغادر سقمًا».

برأ بإذن الله عز وجل»[١].

* وهو سبحانه الذي شفى أيوب بعد مرض طال زمانه وعجز عن شفائه الأطباء.

* والمصائب مكتوبة عند الله:

* قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

* وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [التغابن: ١١].

* والله هو الذي يؤلف بين القلوب:

* قال الله عز وجل: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣].

* وقال تعالى: ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

* والمحبة في القلوب مكتوبة وهي من عند الله:

* قال رسول الله ﷺ في شأن خديجة أم المؤمنين: «إني رزقت حبها»[٢].

---

(1) أخرجه مسلم (٢٢٠٤) من حديث جابر ﷺ مرفوعًا.
(2) أخرجه مسلم (ص١٨٨٨) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا.

* وقال عليه الصلاة والسلام: «إذا أحب الله عبدًا نادى جبريل: إن الله يحب فلانًا فأحبه فيحبه جبريل فينادي جبريل، في أهل السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض». أخرجه البخاري[1].

وفي رواية لمسلم[2]: «إن الله إذا أحب عبدًا دعا جبريل فقال: إني أحب فلانًا فأحبه، قال: فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء، قال: ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبدًا دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلانًا فأبغضه، قال: فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه، قال: (فيبغضونه)، ثم توضع له البغضاء في الأرض».

* والنصر من عند الله وكذلك التمكين:

* قال الله تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

* وقال تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

* وقال تعالى: ﴿بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم: ٥].

---

(1) أخرجه البخاري (حديث ٦٠٤٠) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.
(2) أخرجه مسلم (حديث ٢٦٣٧) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

* وقال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

* وقال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

* وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ [الملك: ٢٠].

* وقال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٥، ٦].

* وقال تعالى عن ذي القرنين: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤].

* والآفات الزراعية التي تحل بالأراضي الزراعية والمحاصيل من الله عز وجل:

* قال الله سبحانه: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ [القلم: ١٩، ٢٠].

* وقال سبحانه: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا﴾

[الكهف: ٤٢، ٤٣].

* وقال عز وجل في شأن سبأ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٦، ١٧].

* هذه الأمور التي ذكرناها وغيرها من الأمور التي تجري في الكون كله إنما هي من عند الله عز وجل ومقدرة مكتوبة، فلا يحدث شيء في هذا الكون إلا بإذن الله ولا يجري شيء إلا بمشيئته، فكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال.

* والله هو الذي يدبر الأمور جميعها:

* قال الله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥].

* وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢].

* وقد كان المشركون يقرون بذلك.

* قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١].

* فالأمر كله إليه:

* قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

* وقال سبحانه: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [هود: ١٢٣].

* وقال عز وجل: ﴿بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١].

* والرزق كله عليه:

* قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

* وقال سبحانه: ﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ [طه: ١٣٢].

* وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

* وقال عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا * وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣٠، ٣١].

* وقال سبحانه: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣].

والملك يؤمر بكتب رزق العبد وهو في بطن أمه.

* وقال النبي عليه الصلاة والسلام لأم حبيبة: «قد سألت الله لآجل مضروبة، وأيام معدودة، وأرزاق مقسومة، لن يعجل شيئًا قبل حله، أو يؤخر شيئًا عن حله...»[1].

(1) أخرجه مسلم (مع النووي ٢١٢/١٦) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعًا.

* وخزائن كل شيء بيديه:

* قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾[1] [الحجر: ٢١].

* وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [المنافقون: ٧].

* وإليه المنتهى في كل شيء:

* قال تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾[2] [النجم: ٤٢].

* العمل والأخذ بالأسباب مع الإيمان بالقدر:

* قدمنا أن الأمور التي تجري في هذا الكون كلها مكتوبة مقدرة وتجري بإذن الله وبمشيئته وأمره، وهذا الاعتقاد لا بد وأن يعتقده كل

---

(1) (٢) قال ابن القيم رحمه الله في «التفسير القيم»: قول الله تعالى ذكره: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ [الحجر: ٢١] متضمن لكنز من الكنوز، وهو أن كل شيء لا يطلب إلا ممن عنده خزائنه، ومن مفاتيح تلك الخزائن بيديه، وإن طلبه من غير طلب ممن ليس عنده، ولا يقدر عليه.

وقوله: ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ [النجم: ٤٢] متضمن لكنز عظيم وهو أن كل مراد إن لم يرد لأجله ويتصل به، وإلا فهل مضمحل منقطع، فإنه ليس إليه المنتهى، وليس المنتهى إلا إلى الذي انتهت إليه الأمور كلها. فانتهت إلى خلقه ومشيئته وحكمته وعلمه، فهو غاية كل مطلوب، وكل محبوب لا يحب لأجله فمحبته عناء وعذاب. وكل عمل لا يراد لأجله فهو ضائع وباطل، وكل قلب لا يصل إليه فهو شقي محجوب عن سعادته وفلاحه.

فاجتمع ما يراد منه كله في قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ [الحجر: ٢١] واجتمع ما يراد له كله في قوله: ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ [النجم: ٤٢] فليس وراء سبحانه غاية تطلب، وليس دونه غاية إليها المنتهى.

مسلم، ولكن مع هذا الاعتقاد يلزمه العمل كما أمره الله بذلك، وكما أمره لذلك رسوله ﷺ.

* قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

* وفي عدة آيات في كتاب الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٧] فعطف عمل الصالحات على الإيمان بالله عز وجل.

* ومع أن النصر من عند الله كما قدمنا لكن يقول الله عز وجل: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨]، ويقول سبحانه ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ويقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا﴾ [النساء: ٧١]، وشرع الله صلاة على صورتها من التخفيف بالمسلمين لما فيه من أخذ الحذر من الكفار.

* وهذا نبينا محمد ﷺ يعلم تمام العلم ويوقن غاية اليقين أن النصر من عند الله عز وجل، ومع ذلك كان يرتب الجيوش ويؤمر الأمراء ويحفر الخندق ويرسل رسله لتحري أحوال عدوه واستقصائها، ويدعو الله عز وجل بالنصر.

* ومع أن الشفاء من الله كما قدمنا إلا أن النبي ﷺ قال: «لكل

داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن عز وجل»[١]، وحث ﷺ على التداوي في جملة مواطن.

* ومع أن الأمور التي تجري بين الناس تجري بمقادير إلا أن النبي ﷺ حث على الشفاعة في الخير، قال رسول الله ﷺ: «اشفعوا فلتؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء»[٢].

* وقال عز وجل: ﴿مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥].

* ومع أن النبي ﷺ قال: «لا عدوى»[٣]؛ إلا أنه قال أيضًا: «فر من المجذوم فرارك من الأسد»[٤].

* فالمؤمن يعتقد اعتقادًا جازمًا أن لا عدوى وأن أمر المرض والشفاء كله من عند الله، وأنه لا عدوى مؤثرة بذاتها، ومع ذلك يفر من المجذوم كما أمر رسول الله ﷺ.

* ولا تضاد ولا تعارض بين الحديثين فهو اعتقاد وعمل، إيمان وعمل صالح: ﴿آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٧].

* وشأن هذا كما يقال لشخص: هنا في هذا الطريق رجل معه

(1) أخرجه مسلم (٢٢٠٤).
(2) أخرج البخاري (حديث ١٤٣٢)، ومسلم (حديث ٢٦٢٧) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كان رسول ﷺ إذا جاءه السائل أو طلبت إليه حاجة قال: «اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ﷺ ما شاء».
(3) أخرجه البخاري (حديث ٥٧٧٣)، ومسلم (٢٢٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.
(4) أخرجه البخاري (حديث ٥٧٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

سلاح يريد قتلك والفتك بك، وهذا الشخص المقول له يعتقد اعتقادًا جازمًا أن أجله مقدر مكتوب وأنه لن يصيبه إلا ما كتبه الله له، ومع ذلك يسلك طريقًا آخر بعيدًا عن الطريق الذي به عدوه.

* وها هو عمر رضي الله عنه المحدث الملهم يمتنع من دخول الشام لنزول الوباء بها وينحاز بالجيش، كما في «الصحيحين» من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما[١] أن عمر بن الخطاب خرج إلى الشام حتى إذا كان بِسَرْغ [٢] لقيه أهل الأجناد[٣] – أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه – فأخبروه أن الوباء[٤] قد وقع بالشام.

قال ابن عباس: فقال عمر: ادع لي المهاجرين الأولين، فدعوتهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا، فقال بعضهم: قد خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه، وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ، ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي الأنصار، فدعوتهم له فاستشارهم. فسلكوا سبيل المهاجرين، اختلفوا كاختلافهم فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي من كان ههنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح[٥]، فدعوتهم فلم يختلف عليه رجلان. فقالوا: نرى أن

(1) أخرجه البخاري (حديث (٥٧٢٩)، ومسلم (٢٢١٩)، واللفظ لمسلم.
(2) سرغ: هي قرية في طرف الشام مما يلي الحجاز.
(3) الأجناد: هي مدن الشام الخمس، وهي: فلسطين، والأردن، ودمشق، وحمص، وقنسرين، قاله النووي.
(4) المراد بالوباء: الطاعون.
(5) المراد بمهاجرة الفتح هنا: أحد وجهين: أحدهما: المهاجرين الذين هاجروا قبل فتح مكة (إذ لا هجرة بعد الفتح).
=

ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء، فنادى عمر في الناس إني مصبح[١] على ظهر. فأصبحوا عليه، فقال أبو عبيدة بن الجراح: أفرارًا من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها[٢] يا أبا عبيدة! (وكان عمر يكره خلافه) نعم، نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كانت لك إبل فهبطت واديًا له عدوتان[٣]. إحداهما خصبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ قال: فجاء عبد الرحمن بن عوف، وكان متغيبًا في بعض حاجته، فقال: إن عندي من هذا علمًا. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم به بأرض، فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها، فلا تخرجوا فرارًا منه».

قال: فحمد الله عمر بن الخطاب ثم انصرف.

* والذرية مقدرة، ومع ذلك لابد من الأخذ بالأسباب الموصلة إليها، فإذا تزوج رجل امرأة وبقي شهورًا له يجامعها وقال لها ذات يوم: قومي ندعو الله أن يرزقنا الولد في الثلث الأخير من الليل، ترى كيف تجيبه زوجته وبما تجيبه؟! وهو لم يجامعها ويسأل الله الولد من غير جماع أظنه سيكون أضحوكة عندها!!!

=

وقيل: هم مسلمة الفتح الذين هاجروا بعده فحصل لهم اسم دون الفضيلة.

(1) أي: مسافر راكب على ظهر الراحلة راجع إلى وطني فأصبحوا عليه وتأهبوا له.

(2) قوله: لو غيرك قالها. تحمل على أحد معنين، أحدهما: معنى التعجب من كون مثل هذه الكلمة تخرج من أبي عبيدة بن الجراح مع ما اشتهر عليه من العقل والفضل والعلم، وكونه أمين هذه الأمة.

الثاني: أن غيرك لو قالها لأدبته، والله تعالى أعلم.

(3) عدوتان أي: جانبان.

* ونحن نعلم ونؤمن أن الرزق مقدر، ومع ذلك أمرنا ربنا أن نمشي في مناكبها ونأكل من رزقه، قال تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨].

* ونحن نعلم أن إنبات الثمر مقدر، ومع ذلك لابد من رعاية الزرع والاهتمام به وفعل ما يصلحه حتى يثمر، وقصة تأبير النخيل مشهورة فقد أخرج مسلم [1] من طريق موسى بن طلحة عن أبيه قال: مررت مع رسول الله ﷺ بقوم على رءوس النخل، فقال: «**ما يصنع هؤلاء؟**»، فقالوا: يلقحونه: يجعلون الذكر في الأنثى فتلقح، فقال رسول الله ﷺ: «**ما أظن يغني ذلك شيئًا**» قال: فأخبروا بذلك فتركوه، فأخبر رسول الله بذلك فقال: «**إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإني إنما ظننت ظنًّا، فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئًا، فخذوا به؛ فإني لن أكذب على الله عز وجل**».

* وعند مسلم[2] أيضًا من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه قال: قدم نبي الله ﷺ المدينة وهم يأبرون [3] النخل يقولون: يلقحون النخل، فقال: «**ما تصنعون؟**» قالوا: كنا نصنعه. قال: «**لعلكم لو لم**

(1) أخرجه مسلم (٢٣٦١).
(2) مسلم (حديث ٢٣٦٢).
(3) يؤبرون النخيل: يدخلون شيئًا من طلع الذكر في طلع الأنثى فتعلق بإذن الله.

تفعلوا كان خيرًا» فتركوه، فنفضت أو فنقصت. قال: فذكروا ذلك له فقال: «إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر». قال عكرمة: أو نحو هذا.

* وفي صحيح مسلم [1] أيضًا من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ مر بقوم يلقحون فقال: «لو لم تفعلوا لصلح» قال: فخرج شيصًا[2]، فمر بهم فقال: «مالنخلكم؟» قالوا: قلت كذا وكذا. قال: «أنتم أعلم بأمر دنياكم».

* وقد أخرج مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: جاء سراقة بن مالك بن جعشم قال: يا رسول الله! بيّن لنا ديننا كأنا خلقنا الآن، فيما العمل اليوم أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير، أم فيما نستقبل؟ قال: «لا، بل فيما جفت الأقلام وجرت به المقادير» قال: ففيم العمل [3]؟ فقال: «اعملوا فكل ميسر».

* فمع اعتقاد أن الأمور مقدرة لابد من العمل أيضًا.

* وفي «الصحيحين» من حديث علي رضي الله عنه قال [4]: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله، ومعه

---

(1) حديث (٢٣٦٣).

(2) الشيص هو: البسر الردئ الذي إذا يبس صار حشفًا.

(3) الحديث عند مسلم (ص٢٠٤٠) من طريق زهير حدثنا أبو الزبير، وفي آخره قال زهير: ثم تكلم بشيء لم أفهمه فسألت ما قال؟ فقال: «اعملوا فكل ميسر».

(4) أخرجه البخاري (٤٩٤٨)، ومسلم (حديث ٢٦٤٧).

مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته، ثم قال:

«ما منكم من أحد، وما من نفس منفوسة، إلا كتب مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة»، قال رجل: يا رسول الله! أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل، فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى أهل السعادة، ومن كان منا من أهل الشقاء فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة؟ قال: «أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاء»، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ [الليل: ٥، ٦] الآية.

* وليست الأسباب وحدها كافية: بل قد يأخذ الشخص بالأسباب ولا تجدي الأسباب معه شيئًا، فكم من ساع يسعى في الأرض ويبتغي الرزق ولا يرزق بل ويخسر أمواله أيضًا، وكم من رجل أخذ بالأسباب وتداوي ولكن ما كان في الدواء شفاء بل كان فيه الألم والمرض.

* وكم من طالب أخذ بالأسباب وذاكر ولكنه فشل في الامتحان ورسب، فلا بد مع الأخذ بالأسباب التوكل على الله وسؤاله التوفيق والرضا بقضائه، والله تعالى أعلم.

* معنى لا حول ولا قوة إلا الله:

* ويتعلق بأبواب القدر كلمة طيبة عدها رسول الله ﷺ كنزًا من

كنوز الجنة ألا وهي لا حول ولا قوة إلا بالله [١]، فما هو معنى هذه الكلمة الطيبة؟

* من معاني هذه الكلمة الطيبة (لا حول ولا قوة إلا بالله) لا حول أي: لا تحول لي عن معصية الله عز وجل إلا إذا حولني الله، ولا قوة لي على طاعة الله إلا إذا قواني الله.

أو بمعنى أوسع: لا تحول لشيء عن شيء ولا لشخص عن شيء إلا إذا حوله الله، ولا قوة في هذا الكون إلا من عند الله.

فقد يكون الشخص متجهًا إلى معصية وهو يعلم أنها معصية، ويعلم أن الأمر القادم عليه خطأ ولكنه لا يستطيع أن يتحول عنه إلا إذا حوله الله ومن ثم قال يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

* وقال رسول الله ﷺ في شأن الأخلاق: «واصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها إلا أنت»[٢].

* وكذلك لا قوة للعبد على طاعة الله إلا إذا قواه الله، ومن ثم قال سليمان عليه السلام: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ

---

(1) أخرجه البخاري (حديث ٦٦١٠)، ومسلم (٢٧٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وفيه أن النبي ﷺ قال له: «يا عبد الله بن قيس! ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟» فقلت: بلى يا رسول الله قال: «قل: لا حول ولا قوة إلا بالله» اللفظ لمسلم، ولفظ البخاري: «ألا أعلمك كلمة هي من كنوز الجنة لا حول ولا قوة إلا بالله».

(2) صحيح وقد تقدم، وأخرجه مسلم.

عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ [النمل: ١٩].

وقال الذي بلغ أشده وبلغ أربعين سنة: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ [الأحقاف: ١٥].

* وقال رسول الله ﷺ لمعاذ: «لا تدعن دبر كل صلاة أن تقول: رب أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»[(١)].

* ولا يجوز لشخص أن يصر على الكفر أو المعاصي محتجًا بالقدر:

كما يقول أهل الجهل محتجين لبقائهم على معاصيهم وشركهم: الله كتب علينا هذا، فهذه كلمة حق أريد بها باطل.

* قال الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

* وكذلك لا يجوز لشخص أن يتكاسل عن العمل محتجًا بالقدر:

---

(1) أخرج أبو داود (٢/١٨٠) وغيره بإسناد صحيح إلى معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: «يا معاذ! والله إني لأحبك» فقال: «أوصيك يا معاذ! لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك».

* فقد أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث علي بن حس عليهما السلام أن علي بن أبي طالب ﷺ أخبره أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة بنت رسول ا ﷺ ليلة فقال لهم: «ألا تصلون»، قال علي: فقلت: يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف رسول ا ﷺ ح قلت ذلك ولم يرجع إلي شيئًا، قم سمعته وهو مدبر يضرب فخذه ويقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤].

* لكن لما غلب بلال لم يعاتبه رسول الله ﷺ كما في «صحيح مسلم»[2] من حديث أبي هريرة ﷺ؛ أن رسول الله ﷺ، ح قفل من غزوة خيبر[3]. سار ليلة حتى إذا أدركه الكرى عرس[4]. وقال لبلال: «اكلأ لنا الليل»[5]، فصلى بلال ما قدر له. ونام رسول ا ﷺ وأصحابه. فلما تقارب الفجر استند بلال إلى راحلته مواجه الفجر[6] فغلبت بلالًا عيناه وهو مستند إلى راحلته. فلم يستيقظ رسول ا ﷺ ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس. فكان رسول ا ﷺ أولهم استيقاظًا. ففزع رسول ا ﷺ فقال: «أي بلال!»، فقال بلال: أخذ بنفسي الذي أخذ (بأبي أنت وأمي! يا رسول ا) بنفسك.

قال: «اقتادوا»، فاقتادوا رواحلهم شيئًا. ثم توضأ رسول الله ﷺ.

---

(1) أخرجه البخاري (حديث ٧٤٦٥)، ومسلم (حديث ٧٧٥).
(2) أخرجه مسلم (حديث ٦٨٠).
(3) قفل أي: رجع.
(4) عرس أي: نام.
(5) اكلأ لنا الليل أي: احرسه واحفظه.
(6) مواجه الفجر أي: مستقبل الفجر.

وأمر بلالاً فأقام الصلاة. فصلى بهم الصبح، فلما قضى الصلاة قال: «من نسي الصلاة فليصلها إذا ذكرها. فإن الله قال: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]».

* ولا يعير شخص ارتكب ذنبًا ثم تاب منه:

فقد أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «احتج آدم وموسى. فقال موسى: يا آدم! أنت أبونا. خيبتنا وأخرجتنا من الجنة. فقال له آدم. أنت موسى. اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟»، فقال النبي ﷺ: «فحج آدم موسى. فحج آدم موسى».

* وفي رواية لمسلم من حديث أبي هريرة. قال رسول الله ﷺ: «احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما. فحج آدم موسى. قال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض! فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء، وقربك نجيًّا، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق؟ قال موسى: بأربعين عامًا. قال آدم: فهل وجدت فيها: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١].

قال: نعم. قال: أفتلومني على أن عملت عملاً كتبه الله علي

(1) أخرجه البخاري (حديث ٦٦ز٤)، ومسلم (حديث رقم ٢٦٥٢).

أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟». قال رسول الله ﷺ: «فحج آدم موسى».

* التعوذ بالله من سوء القضاء وسؤال الله أن يصرف عنا شر ما قضى:

* فقد قال النبي ﷺ: «تعوذوا بالله من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء»[(1)].

* وعلم النبي ﷺ الحسن بن علي أن يقول: «... وقني شر ما قضيت»[(٢)].

* وعلى الشخص أن يرضى بقضاء الله ويسأل ربه أن يرضيه بذلك:

* فقد كان النبي ﷺ يدعو بهذه الدعوة: «اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء...»[(٣)].

وليقل الشخص ما أمره به النبي ﷺ إذا أصابه شيء، وهو: «قدر الله وما شاء فعل».

* قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]:

---

(1) أخرجه البخاري (١٤٨/١١ مع الفتح)، ومسلم (مع النووي ٣٠/١٧)، وبين سفيان (أحد رواته) أن منهن خصلة قالها هو، وفي بعض الروايات أنها شماتة الأعداء.

(2) صحيح، وقد تقدم.

(3) صحيح، أخرجه النسائي (٥٥/٣)، من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما مرفوعًا.

* الحسنات والسيئات كلها من الله سبحانه، فكيف توجه الآية الكر□ة؟

* توجيهها فيما ذكره بعض أهل العلم: **وما أصابك من مصيبة** فأنت المتسبب فيها، و إلا فأصلها من الله تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨].

* وأطلق على السيئة أنها من نفس العبد تأدبًا مع الله عز وجل، **كما** قال ا□ليل: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨-٨٠]، فلم **يقل**: والذي هو يمرضني ويشفيني تأدبًا مع الله عز وجل، والله أعلم.

* * *

من فوائد الإيمان بالقدر

* من فوائد الإيمان بالقدر: إتمام العمل بأركان الإيمان:

* فالإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان.

* ومن فوائده: طمأنينة القلب وهدؤوه وراحة البال:

* كما قال الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١]، وكما قال سبحانه: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

* فالرجل يكون في أهله يحبهم ويحبونه ويأنس بهم ويأنسون به، ويدخل كل يوم على أولاده بالابتسامات ويتلقونه بالترحيب، ويحمل إليهم ما لذ وطاب من الطعام والشراب، وذات يوم وهم ينتظرونه يتأخر ولا يأتيهم، بل يأتيهم خبره، وأنه قد مات في حادث، فماذا عساهم أن يصنعوا؟! لا شك أنهم إذا كانوا مؤمنين بالله وبأقداره وقضائه استرجعوا فقالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرنا في مصيبتنا، واخلف لنا خيرًا منها، فيبدلهم الله خيرًا منها ويرزقهم إيمانًا يجدون حلاوته في قلوبهم وطمأنينة وسكينة تباشر قلوبهم أيضًا، وفضلاً عن ذلك وطمأنينة وسكينة تباشر قلوبهم أيضًا، وفضلاً عن لك فعليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون.

* أما إذا لم يكونوا مؤمنين فماذا عساهم أن يفعلوا؟ امرأته تشق

الجيب، وتلطم الخد، وتحلق الرأس، وتعترض على الأقدار، وتسب الأيام والشهور والليالي، وتصيح صياح المجانين، بل ويكون المجنون أفضل منها في حالتها تلك، فالمجنون مرفوع عنه التكليف، أما هي فتقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب كما جاء عن رسول ا ﷺ في شأن النائحة[1]، وقد تبرأ رسول الله ﷺ من الصالقة والالقة والشاقة[٢].

* وماذا عساها أن تجني بعد ذلك، إنها تجني ثمار اعتراضها على القدر: حسرات إلى حسرات، وخسرانًا إلى خسارٍ، يتسرب إليها الندم الذي لا ينفع بشيء، فتقول: يا ليته ما خرج من بيته. فتقع فيما يقع في الكفار الذين نهانا الله عن التشبه بهم حيث قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

* فهؤلاء الكفار إذا خرج إخوانهم مسافرين، أو خرجوا في غزوة من الغزوات فماتوا في أسفارهم، أو قتلوا في مغازيهم تسرب الندم إلى

(1) أخرجه مسلم (٩٣٤)، من حديث أبي مالك الأشعري ﷺ.
(2) أخرجه البخاري (١٢٩٦)، ومسلم (حديث ١٠٤)، من حديث أبي موسى ﷺ مرفوعًا أن النبي ﷺ قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة»، وقال: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب».

إخوانهم الجالسين الذين لم يخرجوا وقالوا: يا ليتهم ما سافروا وما خرجوا؛ فلو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا، وهذا الندم الذي تسرب إليهم إنما قذفه الله في قلوبهم عقوبة لهم على كفرهم، وعلى اعتراضهم على أقداره.

ثم بين الله لأهل الإيمان أنه سبحانه هو الذي يحيي وهو الذي يميت، وهو عليم بما نقول، بصير بما نعمل.

* والطالب يكون في دراسته مجتهدًا غاية الاجتهاد ذكيًا في غاية من الذكاء، وكل عام ينجح وينجح يتفوق على أقرانه، ويأتي في امتحان الثانوية مثلاً التي بعدها يتجه إلى جامعة من الجامعات يخرج من بيته صباحًا للامتحان؛ فيسقط من على الدرج فتكسر رجله، أو يهشم رأسه، أو تصدمه سيارة فيذهب إلى المستشفى والآلام تحيط به من كل جانب والدم ينزف منه من كل مكان، يعالج ويتألم، وزملاؤه في الامتحان يؤدونه بهدوء أعصاب وراحة بال، فماذا عساه أن يفعل إذا لم يكن مؤمنًا بأقدار الله؟!!

لا شك أنه إذا كان مؤمنًا بالله وبأقداره رضي وحمد الله على كل حال، وعلم أن هذا ابتلاء من الله، وأن الله عز وجل يوفي الصابرين أجرهم بغير حساب، فكان أمله ورجاؤه فيما عند الله، واحتسب كل ما أصابه في نفسه وبدنه ودنياه، فحينئذ يبدله الله إيمانًا يجد حلاوته في قلبه.

* والمرأة والفتاة تكون جميلة حسناء يتحدث أهل البلدة عن حسنها وجمالها وبهائها؛ فما تلبث إلا قليلاً حتى تبتلى، تذهب لطهي

طعام فيتناثر زيت حار على وجهها وجسمها فيشوهها ويفر الناس منها عند رؤيتها، فكيف تصنع مثل هذه إذا لم تكن تؤمن بالله وبأقداره وترضى بقضائه؟!!

* وهذا تاجر ثري يربح أموالًا طائلة، وذات يوم ركدت التجارة وانخفض السعر؛ فخسر خسارة فادحة ذهبت بأول أمواله وآخرها، فماذا عساه أن يصنع؟!!

* وغير هؤلاء أصناف من البشر، وحالات لا يعلمها إلا خالقهم سبحانه وتعالى.

* من فوائد الإيمان بالقدر: أن الشخص لا ييأس على ما فاته:

* فقد يظن ظانٌّ أنه لو فعل كذا لكان كذا ويتحسر ويتمزق، وفي الحقيقة أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه، فالذي كُتب له هو الذي يتحصل عليه، والذي لم يكتب له فلن يتحصل عليه، ولن يناله بحال من الأحوال.

* تاجر يمكث يومًا في بيته لا يخرج للسوق، ويخرج الناس فيرجعون وقد ربحوا أرباحًا طائلة، فإذا لم يكن مؤمنًا بالقدر يتحسر على ما فاته، ويندم على عدم خروجه، لكن رب العزة يبين لأهل الإيمان به ما يطمئن قلوبهم، ويهدي بالهم، فيقول سبحانه: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

* رجل يتأخر شيئًا ما من الوقت عن خطبة امرأة، فيخطبها رجل آخر، فيتحسر الأول ويقول: يا ليتني بكرت بالخطبة وعجلت إليها، والمسكين لا يدري أن كل فرج كتب عليه أن ناكحه فلان!!

من فوائد الإيمان بالقدر: التواضع، وخفض الجناح لأهل الإيمان:

* فإذا علم المرء أن ما هو فيه من الفضل والنعيم إنما هو من الله سبحانه وتعالى تواضع لله وخضع، وترك العجب والاختيال، فالذي أعطاه قادر على أن يسلب ذلك منه، ومن ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣].

فالرجل الذكي إذا علم أن ذكاءه من عند الله تواضع لربه، وخفض جناحه للجاهل خشية أن يذهب الله عقله، أو يعذبه في الآخرة.

* والرجل الثرى إذا علم أن ثراءه مكتوب، وأنه من عند الله تواضع، وعلم أن ما هو فيه إنما هو ابتلاء له، كما قال سليمان عليه السلام لما رأى عرش ملكة سبأ مستقرًا عنده: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

* الإيمان بالقدر يرزق الشخص القناعة، ويكسبه الشجاعة، ويورثه خصال الخير، ويبعده عن خصال الشر:

* فإذا علم الشخص أن رزقه مكتوب مقدر اطمأن قلبه، وذهب الغل والحقد من صدره، فإنه مهما حسد ومهما تبرم ومهما تضايق

مما فيه العباد من رزق وخير، فلن يزيده ذلك شيئًا إلا إثمًا وخبالاً.

* إذا اطمأن الشخص وفهم أن رزقه مكتوب، وأيقن بذلك ما تبرم يومًا على رزق فاته، وما أشرفته نفسه وتهافتت لمال ولا لجاه.

* وإذا أيقن الشخص أن الآجال مقدرة مكتوبة أقدم على فعل ما أمره الله به، وانتهى عن فعل ما نهاه الله عنه، ولا يبالي في ذلك، فلن يصيبه إلا ما كتبه الله له، فإذا أيقن أنه لن يصيبه إلا ما كتبه الله له كان جريئًا في فعل الخير، وكان جريئًا في رد الباطل، ولم يبال بالكهان ولا بالمنجمين ولا بالسحرة ولا بالمشعوذين، ولا غيرهم من البشر أجمعين، ما دام سلك في ذلك الطريق التي ترضي الله، وأخذ بالأسباب المشروعة التي تقربه من الله سبحانه وتعالى.

* وإذا أيقنت المرأة أن لها ما قدر لها تحسنت أخلاقها، ولم تسأل زوجها طلاق ضرتها، قال النبي ﷺ: «لا يحل لامرأة تسأل طلاق أختها لتستفرغ ما في صحفتها، فإنما لها ما قدر لها»[1].

وبالجملة ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١].

---

(1) أخرجه البخاري (٥١٥٢)، ومسلم (حديث ١٤١٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

الخاتمة

بهذا ينتهي ما جمعناه في هذه الرسالة اللطيفة المختصرة التي حوت جملة آيات من كتاب الله، وجملة أحاديث من أحاديث رسول ا ﷺ.

نسأل الله أن يشفي بها صدور قوم مؤمنين، وأن ينفعنا بها، ويهدي بها قلوبنا وسائر قلوب العباد المؤمنين.؟

هذا وفي باب القدر قد ألفت كتب وأفردت أبواب، منها أبواب القدر في «الصحيح البخاري ومسلم» ومنها كتاب «شفاء العليل» لابن القيم رحمه الله، ومنها كتاب «الجامع الصحيح في القدر» لأخينا في الله وشيخنا أبي عبد الرحمن مقبل الوادعي، وقد استفدت منه كثيرًا، فجزاه الله خيرًا.

أسأل ا أن ينفع بذلك كله الإسلام والمسلم.

وأسأله سبحانه أن يجعلنا راضين بقضائه شاكرين لنعمائه صابرين لبلائه، وأن يصرف عنا وعن المسلمين السوء والمكروه، وأن يورثنا فسيح انان، والدرجات العلى، والنعيم اقيم، وأن ينصر الإسلام ويرفع راية المسلمين، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

أبو عبد ا مصطفى بن العدوي

فهرست الموضوعات